

الآليات السوسيوثقافية لتجذر العنف في المجتمع الجزائري

د. الدكتور / دروش فاطمة فضيلة

جامعة المسيلة- الجزائر

رغم اختلاف ظاهرة العنف وتباين مظاهرها بين المجتمعات، إلا أن البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية، يمكننا من معرفة ورصد النواة المركزية لنشأة هذه الظاهرة وقياس درجة حدتها . هذه النواة من شأنها توفير الشروط الموضوعية لتفاقم الظاهرة وانتشارها واستمرارها. ومن ناحية أخرى، فإن معرفة الأسباب تمكننا من وضع إستراتيجية عقلانية ، قابلة للتطبيق أي لوضع آليات الوقاية والحد من التداعيات السلبية والخطيرة .

وفي تحديد المفهوم ،نميز من المنطلق بين العنف الحياة وعنف الموت ،العنف من أجل الحياة منسق ،بنائي ،نضالي أما العنف الموت فهو هدام يؤدي إلى الانتحار، القتل ،العنصرية ،الاغتصاب وسوء المعاملة. وتحمل الأساطير اليونانية القديمة هذه الدلالة فتقدس العنف من أجل الحب والحياة وتدين العنف الناتج عن الكراهية والأناية.¹

وقد ينطبق مفهوم العنف في صورته الايجابية مع بعض المواقف التي أوجد التاريخ فيها المجتمع الجزائري. ويعد التحليل السوسولوجي لظاهرة العنف من التحليلات الأكثر قبولا. انطلاقا من المفهوم السوسولوجي، إذ يعرف العنف باعتباره ظاهرة اجتماعية أي حتى وإن سلمنا بكونه غريزي عند الإنسان إلا أنه على خلاف ما هو عند الحيوان، فهو مهذب ومصقول اجتماعيا. ومنه فإن علم الاجتماع يؤكد على كون التربية والثقافة وكذلك العلاقات الاجتماعية السياسية تلعب دورا هاما في جعل بعض الأفراد أو الشعوب أكثر ميلا إلى استخدام العنف من غيرهم. ومثاله الولايات المتحدة الأمريكية أين ترتفع درجات استخدام العنف، إذ تشير الإحصائيات أنه ما بين 1979. 1991 سجلت 50000 جريمة قتل عمدي بالسلاح . وتنتشر الظاهرة في الأوساط التربوية إلى درجة لجوء الإدارات وضع أجهزة مراقبة الأسلحة في المدارس. وتفسر هذه

بسم الدكتور/دروش فاطمة فضيلة

الظاهرة إلى طبيعة نشأة الولايات المتحدة والتي نشأت بعد حروب ضد الهنود ثم الاصطدامات بين الفلاحين والموالين ثم بين الشمال والجنوب ،وبين البيض والسود 2 . ومع ذلك يفسر علماء الاجتماع في أمريكا ،العنف بالعوامل المادية كارتفاع معدلات الفقر والعوز ويرتبط مباشرة بالأوساط الهامشية أكثر من ارتباطه بالعامل البنائي وهذا ما تؤكد التحقيقات الميدانية .

وتجعلنا بعض الأطروحات اليوم نعتقد بتماثل الوضع بين الجزائر والولايات المتحدة، فمن التفسيرات ما يبعث إلى الاعتقاد بأن العنف أصبح يشكل سمة من سمات البناء الاجتماعي.

وقد أعاد الباحثين فتح ملف قضية سمة العنف لدى الجزائري ،بالرجوع إلى بداية الثلاثينيات ومدرسة الأطباء النفسانيين تحت إشراف الدكتور " أنطوان بورو" الذي وجه كل اهتماماته إلى إثبات جنوح الجزائري بدرجة عالية إلى العنف والعوانية. ومن هذا المنطلق تطرح السوسيولوجيا التساؤل التالي: هل العنف وإقصاء الآخر دون هوادة عامل من العوامل المؤسسة للثقافة الجزائرية ،أي بمعنى آخر هل الجزائريون يجنحون إلى العنف أكثر من الحوار العقلاني لتجاوز اختلافاتهم؟

وتبرر الأحداث شرعية هذا التساؤل، فالعنف حقيقة اجتماعية تعرفها كل المؤسسات: الأسرة، المدرسة، الجامعة، الملاعب ، الشارع. ومع ذلك نؤكد على العوامل الموضوعية التي أوجدت الظاهرة وجعلتها تبدو صفة ملازمة للمجتمع، وعليه نفضل طرح إشكالا يبدو أكثر موضوعية كأن نتساءل : ما الذي يميز ظاهرة العنف في الجزائر عن غيرها من المجتمعات؟ ما هي الميكانزمات أو الآليات التي تساهم في انتشاره وتزيد من حدته وتفاقمه ؟ لمناقشة هذا الإشكال سنستند إلى ثلاثة مصادر: سوسيولوجيا الجزائر، سوسيولوجيا العنف ثم الرواية كمرجع معرفي شرعي. ونفترض أن أهم العوامل التي تميز العنف في المجتمع الجزائري عن غيره والمربطة عضويا وآليا بصيرورة التحولات الاجتماعية التي عرفتها الجزائر ونلخصها في صنفين من العوامل : عوامل بنائية تكوينية وأخرى متعلقة بخيارات سياسية أثبتت نتائجها ،عدم نجاعتها .

الآليات السوسيوثقافية لتحذر العنف في المجتمع الجزائري

العوامل البنائية التكوينية: ونعني به الخصوصية التاريخية ولا يعني ذلك ربط بروز العنف بلحظة تاريخية معينة بل ما تحمله لحظات متعاقبة من صفات تجعلها تترسخ وتطبع البناء. فخاصية التراكم تجعل الحدث يتحول إلى ظاهرة عمومية وتلقائية ومن ثم تعيد إنتاج نفسها.

ولعل أهم لحظة تاريخية طبعت البناء الاجتماعي وجعلته يسن قوانين لاستعمال العنف هي:

1 مرحلة الهيمنة الكولونيالية التي عملت على تجريد السكان من ممتلكاتهم وضرهم في هويتهم ، فما قساه الجزائري في هذه الحقبة الزمنية ، يعد حدثا منفردا من نوعه وهذا ما أكده أحد الضباط الفرنسيين " إن الحرب التي نقوم بها اليوم في الجزائر حرب استثنائية ، فلا تتبع فيها القواعد المقررة في الحروب الكبرى والصغرى والانضباط بين الجنود قليل والتكوين العسكري يكاد يكون مفقودا وكل ضابط يتصرف كما يريد.....خلال سنوات تحول الجيش إلى جيش جرار من جنود ليس لهم هدف سوى تدمير عمليات السلب والنهب وشن حملات الإرهاب.3

فالاستعمار الفرنسي استعمل كل الوسائل الردعية لإخضاع الشعب الجزائري، لم يترك له الخيار فإما المقاومة وإما الفناء. نقرأ في رواية ابن هدوقة غدا يوم جميل " يبرر النائب العام محاكمة المساجين المتمردين: يطلب أن يصدر أحكاما بالأعمال الشاقة والنفي إلى كيان عقابا لهؤلاء العصاة وردعا لمن تحدثه نفسه بالخروج عن القانون . " "فرنسا لا ترحم السجون كلها مفتوحة ...كل يوم تفتح مراكز جديدة ومحاجر جديدة .4"

يفسر عالم الاجتماع التونسي المنصف الوناس الذي يؤكد على مرجعية العنف في الجزائر إلى طبيعة الاحتلال الفرنسي في قوله أن العلاقة التي سادت بين الدولة والمجتمع في الجزائر منذ ما يناهز القرنين اتسمت بطابع عطائي متبادل امتد طوال مئة وثلاثين سنة من الاستعمار الفرنسي المباشر وثلاثين سنة من عمر الدولة والمجتمع و يؤكد على أنه عنف مخطط ومنظم يندرج في إطار علاقة الفعل والفعل المضاد. مما جعل العنف يطبع البناء الاجتماعي كسمة ملازمة.5

بـ الدكتورـة /دروش فاطمة فضيلة

وعليه و انطلاقا من المفهوم السوسيولوجي الذي اعتمدناه ،نقول أن الجزائري كأى إنسان تستيقظ فيه غريزة العنف كوسيلة للدفاع عن الذات من أجل البقاء في مواجهة الخطر. ومن ناحية أخرى فان مواجهة الخطر بالمقاومة والتمسك بالأرض يعد حالة صحية وليست بالمرضية .

2 العامل الثاني يتمثل في صعوبة المحيط (المناخ والتضاريس) وهنا إشارة إلى سكان الجبال والأرياف الذين يشكلون الأغلبية مقارنة مع سكان المدن. وهذا العامل كذلك لا يخص الجزائر لوحدها بل يفسره القانون الاجتماعي القائل بتأثير البيئة على الفرد والجماعة .وهذا ما استخلصه عبد الرحمن ابن خلدون عندما قارن بين الحضر والبدو "وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع...وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عن أنفسهم ،لا يكلونها إلى سواهم ..فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ...قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ .6"

ويدعم هذا القانون ما تم إدراكه في العامل الأول من استعداد دائم للمواجهة والمقاومة عند الشعور بالخطر. وفي المناطق الجبلية يجابه السكان الأخطار الطبيعية كالفيضانات والزلازل" فالوادي الذي يشق البلدة الى نصفين كل سنة ،يهدد أهلها ولا يمتلكون إزاءه غير رفع الأيدي الى السماء " هذا الوضع يؤدي بالأفراد الى التنازع حول أبسط الأشياء." المساكين يتقاتلون وذلك لأتفه الأسباب ...الماء احتكره فلان ،أغنام فلان أكلت قمحي ". 7

3 العامل الثالث يتمثل في صلابة النظام الاجتماعي التقليدي :

إن ما يميز المجتمع التقليدي صلابة بنياته وقوة مؤسساته بحيث يبدو وكأن الفرد غير موجود أو أن وجوده مقيد بالأعراف والتقاليد والتصورات التي يفرضها المجتمع. وهذا ما يجعل المجتمع يتحرك وفق آليتين ،الآليات السوسيولوجية القوية المنحكمة في الأفراد والتي تعود في جزء كبير منها إلى البنيات الاجتماعية العتيقة في مجتمعات بطيئة التطور والآليات الثقافية الموضوعية المؤطرة للوعي الجماعي والفردى والتي تقوم بدورها بتصليب البنيات التقليدية وتزودها بطاقة مقاومة عوامل التغيير

الآليات السوسيوثقافية لتحذر العنف في المجتمع الجزائري

وهاتان الآليتان متفاعلتان وتسد كل منهما الأخرى في اتجاه إعاقه إمكانات الانبثاق التلقائي للفرد ككيان حروم مستقل وفاعل .

البنيات الاجتماعية التقليدية المؤطرة للفرد في مجتمع تقليدي في طور التحول هي بنيات القرابة وما يرتبط بها من علاقات ومواقع (التراتب والخضوع) والبنيات القبلية بتصنيفاتها ومواقعها من الثروة والقوة والنفوذ والبنيات الدينية (المدنس والمقدس).⁸ ويستثني عالم الاجتماع التونسي نجيب بوطالب في دراسته حول القبيلة في المغرب العربي الجزائر من تأثيرات المعطى القبلي لكون شبكة علاقاته قد تمزقت بفعل الاستعمار في قوله أن أغلبية الأحداث السياسية والعسكرية والدينية التي تطبع الصراعات في بلدان الجنوب تحركها نوازع ما تحت وطنية كالقبيلة والاثنية والطائفية . ولكن يستثني الجزائر من هذا القانون الاجتماعي في قوله " إذا كان المغرب يتميز بثقل الحضور القبلي مما جعله يمثل مخبرا قبليا فان الجزائر لم تبنى على هذا المعطى لما حدث للمجتمع الجزائري من تدمير سوسيوولوجي بفعل عمليات الاحتلال والاستيطان .إن عمليات التحطيم العنيف للبنى الاجتماعية في الجزائر خلال فترة الاحتلال سعيًا إلى اختراق النسيج الاجتماعي ،أدت إلى ردا ت فعل عنيفة .⁹

إن النظام القبلي والمجتمع التقليدي قد يقلل من قابلية الفرد للممارسة العنف لما يمكن أن يقدمه له من حماية وشعور بالانتماء ولكن من ناحية أخرى يؤدي هذا الانتماء والاندماج داخل الجماعة إلى استعمال العنف المقنن المنظم كما رأيناه في العامل الأول أي حين عند الحاجة أي أو إذا جاء الخطر من خارج العشيرة .

وليس المجتمع التقليدي وحده عرضة للمخاطرة بل يشير عالم الاجتماع الألماني أليك باك Ulrich Beck إلى كون المجتمعات ما بعد الحداثة أي الغربية تعاني من إخطار عديدة لا يمكن تفاديها و يصيغ معادلة المخاطرة في المجتمع ما بعد الحداثة كما يلي: *la pénurie est hiérarchique, le smog est démocratique*

ينجم عن هذه المعادلة نتائج خطيرة على مستوى الغذاء، الصحة والبيئة.

بالإضافة الى احداث فراغ سياسي واتساع الهوة بين الطبقات الاجتماعية .¹⁰

ولكن لا يختلف اثنان في كون الدين يشكل العمود الفقري في المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات التقليدية. وقد استند عليه لتفعيل لحظات تاريخية عديدة. وباعتباره النخاع في العمود فقد أوشك استغلاله في سنوات التسعينيات أن يندس بوجود المجتمع. فابسم الدين أعلنت حربا راح ضحيتها الآلاف ودمرت المؤسسات الاقتصادية وشلت جميع القطاعات. ويكشف كل من الروائي طاهر وطار وواسيني الأعرج وأحلام مستغاني في كتاباتهم الروائية أن الدين وحده النواة الرئيسية في ثقافة هذا المجتمع ولذلك فكل من يريد السيطرة عليه يمسه في دينه. "ان الشعب الجزائري لا سلاح ثقافي له سوى دينه". 11

أما عالم الاجتماع صلاح فيلاي فيشير إلى استثماره من طرف جهة التحرير الوطني والتي استعملت الإسلام كوسيلة لربح التأييد الشعبي الواسع واستغلته بطريقتين ،استغلته قصد تجنيد الجماهير ضد الاستعمار الفرنسي من جهة وعزل الأحزاب أو الحركات الوطنية التي رفضت الالتحاق بالثورة عن الجماهير من جهة أخرى 12.

4العامل الرابع متصل ومنبثق عن النظام التقليدي ونقصد به النظام الأبوي وشبكة علاقاته المبنية على قانون الشرف ،الاعتزاز والمفاخرة وتفضيل شجاعة البدن على الذكاء والثقافة. هذه العوامل من شأنها أن تغذي الاستعداد إلى استعمال وشيوع العنف في المجتمع الجزائري. هذه الخاصية تمتاز بها كل المجتمعات التي تحافظ على بنائها التقليدية وبالدرجة الأولى المجتمعات العربية والتي توصف بأنها مجتمعات السلطة الأبوية المتمسكة بقيم وعادات وتقاليد السلطة الذكورية وإلغاء وجود الآخر. إن إلغاء الآخر أي من هو خارج حدود العشيرة والقبيلة هو ما يفسر المثل الشعبي : أنا وأخي على ابن عبي وأنا وابن عبي على الغريب.

ويطلق الباحث سليمان مظهر على حركية هذا النظام مفهوم العنف الرمزي. فمعطيات عديدة تشهد أن العنف الرمزي خاصية سوسيولوجية في الجزائر ،في الوسط العائلي ،المؤسسي والسياسي. ويذكر سليمان مظهر أمثلة عديدة تدل على انتشار اللاتسامح واللاتجانس في البيئة الاجتماعية على كل المستويات. 13

الآليات السوسيوثقافية لتحذر العنف في المجتمع الجزائري

بدل التجديد والإبداع والخلق يعمل المجتمع على إعادة إنتاج عناصره التقليدية ، ليبقى المجتمع محافظا على صيرورته .فمنذ الاحتلال ،تشكلت الجماعة والعشيرة لمجابهة العدو ثم ظهرت كنوع من المجموعات المتحالفة وتستمر في الحضور في شكل جديد محافظة على وظائفها مما يفسر ظاهرة الجبهوية والزبونية و التي تستمد قوتها وفعاليتها من المؤسسات الحديثة التي أسسها الاستعمار بعد 1830 كالوزارات والإدارات والمستشفيات والمدارس.

هذا النمط المعيشي منسق ابتداء من العائلة وشبكة العلاقات وهو يعمل على تأدية دور نفسي اجتماعي .فالفرد عاجز عن مواجهة المشاكل والتحكم في الصعوبات التي تربك حياته اليومية وهو عاجز عن خلق قوة التجديد لعدم تمكنه من الحصول على الوسائل الضرورية لإرضاء حاجياته ومن ثم يندمج في الجماعة التي تمكنه من قضاء مصالحه ولكنها بدورها تدخله في دائرتها وتحصره بقيمها الثقافية والدينية وتربطه بشبكة علائقية محكمة .ومنه فان العنف البيئي يتمثل في إحداث وإعادة إنتاج الاعتماد والانتماء وتصبح هذه العملية كآلية سوسولوجية في كل الأوساط ، الأسرة ، في العمل . ويصبح الأفراد يشاركون آليا في إنتاج مشاكلهم التي يعانون من جرها. يتألمون ويعون ذلك ولكنهم عاجزين عن الخروج من الدائرة لأنهم يرفضون التعرف عليها. 14

وهذه الجدلية الذهنية المعقدة يمكن أن نفهمها باللجوء إلى لغة الرواية إذ يذكر واسيني الأعرج في رواية ذاكرة الماء، بعض الحالات المنغمسة في هذا النظام ،تشارك في سلبياته وتشتكي منه كحالة عبد الله وهو أستاذ جامعي يقول عنه السارد : "رضع من جبهة التحرير طويلا واشترى من خلالها فيلاته بالدينار الرمزي ثم انكفأ فجأة داخل الأطروحات الإسلامية".

وتبرر شخصية أخرى عبد ربه ، جنوحها للعنف "منذ أن أصبحت البلدية في أيديهم أعطوني مسكنا أنا معهم حتى ولو يحرقون البلاد سأحرقها معهم " . 15

ما سبق ذكره من عوامل تحمل طابع بنائي تاريخي ولا يحق لأحد محاكمة التاريخ .أما العوامل الناتجة عن خيارات سياسية فنلخصها في مايلي :

1. العامل الأول يتمثل في ظهور فجوات في عملية التحديث والتنمية في العقود الأخيرة.

لا يختلف اثنان في العلاقة المباشرة بين تفشي مظاهر العنف في أي مجتمع وبين انتشار الفقر والتمهيش . فالمتغير الثاني أي الفقر من شأنه أن يؤدي إلى المتغير الأول أي ممارسة العنف دون أن يبرره أو يجزمه كمتغير سببي. ويستخلص جورج بيبلا في كتابه حول العنف والديمقراطية والتنمية الى وجود علاقة مباشرة بين العنف ومشاريع التنمية الفاشلة في ما عرف ببلدان العالم الثالث

وفي الجزائر فان انحرافات كثيرة اجتماعية أو سياسية وحتى ثقافية مردها فشل المشروع التنموي الذي شرع في تطبيقه بعد تحقيق الاستقلال السياسي .

ويتجسد الفشل الاقتصادي الذي طبع مشروع التنمية في ضعف الأداء والمردودية الاقتصادية للمنشآت والتجهيزات التي كلفت المجتمع ثروات ضخمة وتضحيات كبرى. وتفاقم الفشل بصورة متسارعة منذ عام 1986 عندما انهارت أسعار النفط في السوق الدولية تبعا لحرب الأسعار التي شنتها بعض البلدان النفطية الخاضعة لنفوذ الرأسمال العالمي ، فتقلصت الموارد المالية بصورة محسوسة وفي المقابل تزايد مستوى الإنفاق العام نظرا إلى نمط الحياة الاستهلاكي غير الرشيد الذي برز مع بداية الثمانينات . 16 ورغم موضوعية هذا العامل إلى أن العياشي عنصر يحمل النظام مسؤولية هذا التفاقم بسبب انتهاجه برامج غير صائبة أشهرها " برامج مكافحة الندرة "، كونها جاءت تجسيدا لشعارات سياسية رفعتها بيروقراطية الحزب الواحد الحاكم . وتوقيف الاستثمارات المنتجة خصوصا في قطاع الصناعة إضافة إلى التأثيرات السلبية التي أحدثتها عملية إعادة الهيكلة التي زعزعت استقرار القاعدة الاقتصادية .

إنه مجتمع التهميش الذي يصفه العياشي العنصر ، بالرجوع إلى الإحصاءات الرسمية التي تقول أن أربعة عشر مليون جزائري في حاجة إلى مساعدة اجتماعية ومن ضمن هؤلاء الملايين الأربعة عشر يوجد أربعة ملايين ونصف الملايين نسمة من دون أدنى دخل . كما تتحدث الإحصاءات عن فروق اقتصادية اجتماعية رهيبة يعرفها المجتمع تتراوح بين 1 و 12 من حيث مقاييس الاستهلاك الفردي . هذا الفارق تؤكد الأرقام فعشرة بالمائة الأغنى 10% يستهلكون 32% من الدخل الوطني في حين أن 40% الآخرين لم يستهلكوا من الدخل إلا 6% . 17

الآليات السوسيوثقافية لتجذر العنف في المجتمع الجزائري

2 العامل الثاني أي السياسي: عندما نتحدث عن العنف وعلاقته بالسياسي فإننا نستحضر تعريف ماكس فيبر لعنف الدولة او ما يطلق عليه بالعنف الشرعي الذي تحتكره مؤسسات الدولة. ويستخلص جورج بيبلا في كتابه حول العنف والديمقراطية والتنمية الى وجود علاقة مباشرة بين العنف ومشاريع التنمية الفاشلة في ما عرف ببلدان العالم الثالث. وفي تحليله لعلاقة العنف في المجتمعات الحديثة الاستقلال، استخلص أنه لكي تتجاوب الدولة مع المجتمع المدني الجديد، لجأت الى استعمال آليات شرعية مستمدة من أصالتها الثقافية وترجمت ذلك بتأسيس أنظمة سياسية قمعية متسلطة وجدت شرعيتها في القيم الثقافية التقليدية.18

ولكننا في هذا العنصر، سنقرأ في العلاقة بين المتغيرين كعلاقة سببية أي كيف يمكن أن يشجع نظاما سياسيا استفحال العنف. وتحمل اللغة اليومية والإعلامية إشارات دالة على انفصال بارز بين السلطة والعامّة في الجزائر. وعند تحليلنا للنصوص الروائية في أطروحة الدكتوراه استنتجنا على مستوى اللغة المعادلة التالية: هم/هؤلاء. للدلالة على الفاعلين في السلطة في مقابل نحن أي عامة الشعب. وتلحق بهذا الضمير الفئات التالية: الفقراء، المعوزين، المحرومين.

كيف وقع هذا الانفصال في العالم الاجتماعي بين الحكام والمحكومين؟ هذا ما نرجح تفسيره بنظرية داندروف الذي ينصح بتجاوز نظرية الصراع الطبقي كونها لم تعد تتلاءم مع بنية المجتمعات الحديثة وافتراض أن الصراع هو وليد علاقات السلطة. كما اعتبره حتمية تفرضها طبيعة المجتمع المسير وفق قوانين تفرضها مجالس تشريعية وبالتالي فالسلطة تتحدد من خلال علاقة التفوق والخضوع.19

وفي نفس السياق يتصور ركس جون إمكانية وجود صراع اجتماعي مقنن ومنظم يعتمد على وحدة من النسق القيمي بين أفراد الجماعة الاجتماعية مما يسمح بتشكيل طبقات اجتماعية تعرف مواقف صراعية غالبا ما تتسم بعدم توازن على مستوى القوى فتبرز طبقة حاكمة وأخرى محكومة. وكنتيجة للتغيرات التي قد تطرأ على العوامل المتغيرة التي تزيد من إمكانية المقاومة الناجحة أو الثورة الفعلية، قد تؤدي إلى تغيير موقف القوة لصالح إحدهما ثم ما تلبث الطبقة التي تستولي على مقاليد الحكم أن

د. الدكتورة /دروش فاطمة فضيلة

تشهد انقسامات فرعية ذات طبيعة متباينة عن الموقف الصراعى السابق غير أن المصالح المشتركة تقتضي وجود نوع من المهادنة الشرعية بين الطبقات الاجتماعية مما يؤدي في النهاية إلى ظهور نظام اجتماعي موحد قد يمتد عبر فترة طويلة من الزمن . 20

وعليه فافتقاد عامل " المصالح المشتركة " هو الذي جعل الصراع بين الطبقتين يظهر بصورة ، وعلى الأخص إذا سلمنا بفرضية زيمل التي تنطلق من كون الوعي بالمصالح المشتركة يمكن أن يؤدي الى صراع خالي من العنف وهذا ما تؤكد بدورها فرضية زيمل القائلة :كلما زادت درجة الاندماج الانفعالي أو الوجداني لأطراف الصراع كلما زاد احتمال أن يكون الصراع عنيفا . . وكلما زاد التضامن بين أعضاء كل طرف من أطراف النزاع كلما كبرت درجة اندماجهم الانفعالي كلما زاد ادراك أعضاء جماعات الصراع باعتباره يعلو ويتجاوز الأهداف والمصالح الفردية كلما زاد احتمال أن يكون الصراع عنيفا. 21

العامل الثالث ،مسألة الفراغ الثقافي التي يعاني من جرائها البناء الاجتماعي عند أحداث خواء واضح وقابل للاستغلال من طرف طفيليات مضرة ، ويصف عالم الاجتماع الجزائري عمار بلحسن الحقل الثقافي في الجزائر ،بشبه صحراء سائدة . فلم تعرف الثقافة الجزائرية المعاصرة سوى الانقطاعات والمفترقات والتوترات والانشقاقات ويرجع هذا القحط الثقافي إلى سياق الواحدية على المستوى السياسي والفكري والأيدولوجي والشفوية على مستوى الاتصال الثقافي والعزلة على مستوى العلاقات الثقافية مع الوطن العربي ودولته وبقرطة التعبير والنشر والاتصال، فسارت الثقافة الجزائرية ولا سيما العربية منها كنسيج ينشط وينحل كل مرة وكأنه يتدهور وهو يتطور وبالتالي أدت بجل السياسات الثقافية إلى الفشل. 22

وفي وصفه لواقع الوضع الثقافي الجزائري يشير عمار بلحسن إلى مسألة تسيير القطاع من طرف مثقفين أو متعلمين حزبيين ،ينحدرون من أصول شعبية ويملكون تجربة سياسية داخل الجهاز والإدارة السياسية من دون أية ثقافة فقد كانت المؤتمرات عبر دسائس الكواليس تؤدي كل مرة إلى صعود مثقفين موظفين ومتعلمين غير منتجين

الآليات السوسيوثقافية لتحذر العنف في المجتمع الجزائري

، لا يملكون رأسمالا رمزي ولا فكريا. وهكذا نتجت من إلحاق البيروقراطية السياسية والإدارية للتعبير والفكر ظاهرة تسييس الثقافة وأدلتجها .

يبدو أن الجزائر لها عدااء تاريخي مع الثقافة " الجزائر لها تقاليد في قتل مثقفها. " أوحث فرنسا للعقيد عميروش بأن بين رجاله من يعملون مخبرين لصالح الجيش الفرنسي فقام في يوليو 1956 وبعد محاكمة سريعة بقتل ألف وثمانمائة من رجاله في حادثة تاريخية شهيرة. فورا وجهت اصابع الاتهام الى المثقفين أي الى المتعلمين الذين تركوا دراساتهم ليلتحقوا بالجهة والذين بسبب ثقافتهم الفرنسية لم تكن جهة التحرير تثق في ولائهم. أما القتلة الذين انقضوا عليهم فكانوا رفاقهم من المجاهدين القرويين والأمايين والذين منذ البدء لم يغفروا لهم تمييزهم عنهم بالمعرفة. " 23 .

إن العوامل السابقة الذكر ذات الطابع البنائي التكويني أو الناتجة عن خيارات غيرنا جعة هي التي جعلت العنف يبدو سمة ملازمة للوجود الاجتماعي في الجزائر. وهي كما سبق ايضاحه عوامل تشترك فيها الجزائر مع بعض المجتمعات التقليدية ومنها ما تشترك فيه مع المجتمعات النامية .

ان العوامل الموضوعية السابقة الذكر والتي افترضنا انها تعمل على تأصيل العنف في الثقافة المحلية يلخصها عالم الاجتماع الجزائري عبد الرحمن بوزيدة من خلال تحليله لظاهرة العنف وربطها بالحدثة في سبعة أفكار ويسأل السوسولوجيا عنها ونذكر هنا أهمها :

. عدوانية تاريخية وعنف تاريخي ، ونلمس ذلك في مقولة الأمير عبد القادر: "رجال للرجال هم الرجال ."

. كثرة العصبية وعدم الغلبة كما افترض ابن خلدون وأثبت ذلك بالوقائع.

. الغليان الديني ، فعندما يكون هناك غليان ديني ، تكون المنطقة من أكثر المستهدفين .

. أما في المرحلة الآنية فيرجع شيوع العنف الى ضعف الدولة الوطنية المتزامن مع ظهور

فجوات في عملية التحديث والتنمية . 24

ومنه ، فان التقاء شروط العنف التاريخي والديني والمخيالي والثقافي من شأنها أن تنتج ما يطلق عليه بالعنف الأضحياتي. ومن ناحية أخرى فان عوامل مثل الأزمة الاقتصادية

بسم الدكتور ءدروش فاطمة فضيلة

وءيباب العءالة الاءءماعية وائئشارا لرشوة والمآسي بأمكانها ئفسير مءى عمق الأزمة في أي مءءمع من المءءمعاء إلا أنه لا ئبرر ولا يمن اعءبارها ءافعا لاستعمال العنف للوصول إلى مرحلة ما بعء الأزمة.

أما عن المظاهر أو الأسباب الئانوية الئى نفءرضها عوامل ئغءى شيوخ العنف ،وهى ئائءة بعورها عن العوامل المءكورة فنلءصها في ما يلي :

1. غياب ئقافة الفرح والءب، إء تطل ئقافة الكآبة في كل المناسبات .كل لءظات الفرح المفاءضة ئذهب ضءية هذه ئقافة ئئى باء البؤس والضيق سمة لا ئفارق الكئيرين ومئال ءلك خروج المصلين منكسرين من صلاة الجمعة بعء خطبة مشءونة بالسب والئشم (من الخطباء من يصب غضبه على النساء ويعيء أنهم أكئراهل النار)مناسبات الزواج الئى أصبءت فرصا للئباهي والئمايز وائقال أصحابها بالءيون. علينا بالءعمل لئفكك وزءرة ئقافة الكآبة وءلك بالئركز على ئعزیز ئقافة الفرح والنظال من أجلها." كان يحاضر لاقئاعنا بالفرء كفعل مقاومة فبالنسبة اليه مشكئنا في الجزائر ان الناس لا وقت لءيهم للحياة . " 25

2. ئءاهل آليات الئرقية الروءية من آءاب وفنون .

3. الانغلاق في الوسط الأسري ،ومن مظاهره انءءام الءوار.

4. شيوخ الءوف من الغء، اللأمل .

5. الاءتمام الزائء بالءانب الماءى .

المراجع :

1 Olivier Halfon et d'autres, sens et non-sens de la violence, ed,puf,2002 p. 15.

2 ANDRE KASPE, comprendre les etas unis d'aujourd'hui, ed, PERRIN , 2008, p.279.

3 مصطفى الأشرف الأمة والمجتمع، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1983، ص 111.

4 ابن هدوقة ،غدا يوم جميل، منشورات الأندلس ،الجزائر،1992، ص 278 ص 30.

5 منصف الوناس، الدولة والمسألة الثقافية في الجزائر ،دار اليف، تونس ،ص

6 عبد الرحمن ابن خلدون ،المقدمة ،دارالكتاب اللبناني ،لبنان 1982، ص219.

7 واسيني الأعرج، نوار اللوز ،دار الحداثة ،بيروت ،1982، ص159. ص 106.

8 محمد سبيلا " اختزال الفرد لصالح الجماعة " العلوم الانسانية ،مجلة الكترونية science –islam.net

9 محمد نجيب بوطالب، التكوين الاجتماعي القبلي بين التغير والاستمرار ،أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع، تونس ،1998.ص21

10 Ulrich Beck, la société du risque,ed, aubier, Paris,2001, p63;64

11 طاهر وطار، الشمعة والدهاليز، منشورات التبيين ،الجاحظية ،سلسلة الابداع الأدبي ،الجزائر، ص21،

12 صالح فيلاي " أيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية "

الأزمة الجزائرية ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،1996، ص3 34.

13 Slimane medhar,la violence sociale en algerie ,ed,thala, Alger, 1997, p9.

14 ibid p 179

15 واسيني الأعرج ،ذاكرة الماء، دارالفضاء ، الجزائر ، 2001 ، ص311. ص 69.

16 عياشي العنصر ، "سوسيولوجيا الأزمة الراهنة في الجزائر" الأزمة الجزائرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ص182.

17 نفس المرجع، 181.

18 Jorge Bula, violence, démocratie et développement dans le tiers monde, ed, Harmattan, 1990, p.142

19 أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، ص 190

20 محمد علي محمد، تاريخ علم الاجتماع، دارالمعرفة الجامعية، مصر، ص 533.

21 نادية عيشور، الصراع الاجتماعي، أطروحة دكتوراه، قسنطينة، ص 132.

22 عمار بلحسن " الكتابة والمنبر الغائب " الأزمة الجزائرية، مرجع سابق، ص 459.

23 أحلام مستغانمي، عابر سرير، منشورات ANEP الجزائر، 2004، ص 166.

24 أحلام مستغانمي، نفس المرجع، ص 128

25 عبد الرحمن بوزيدة، العنف بين الحداثة والأسطورة، دفاتر التغيير الاجتماعي، جامعة الجزائر، العدد 2007، 1، ص 15.